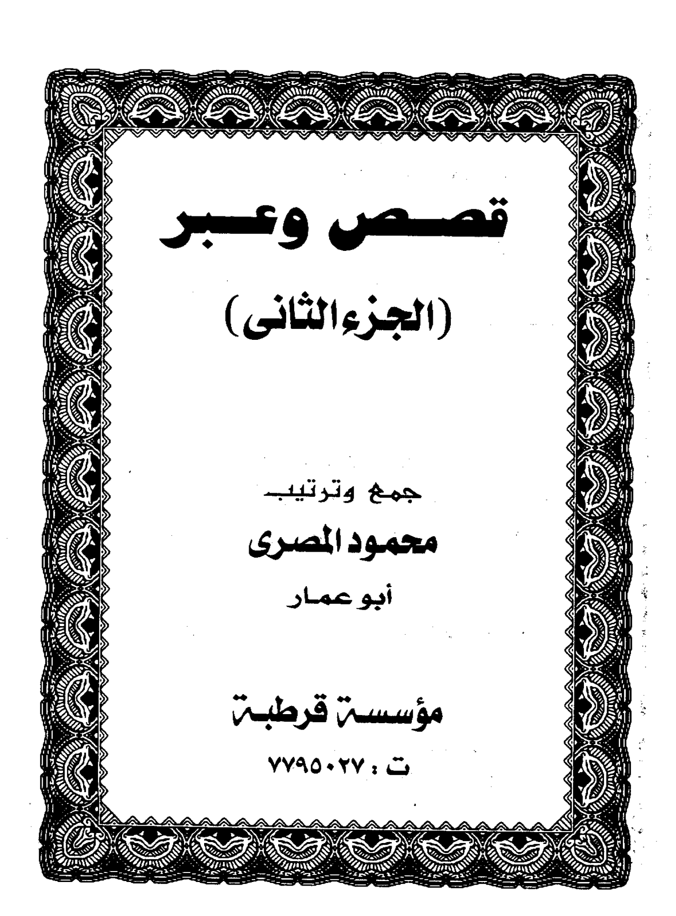


قصص وعبر

(الجزء الثانى)

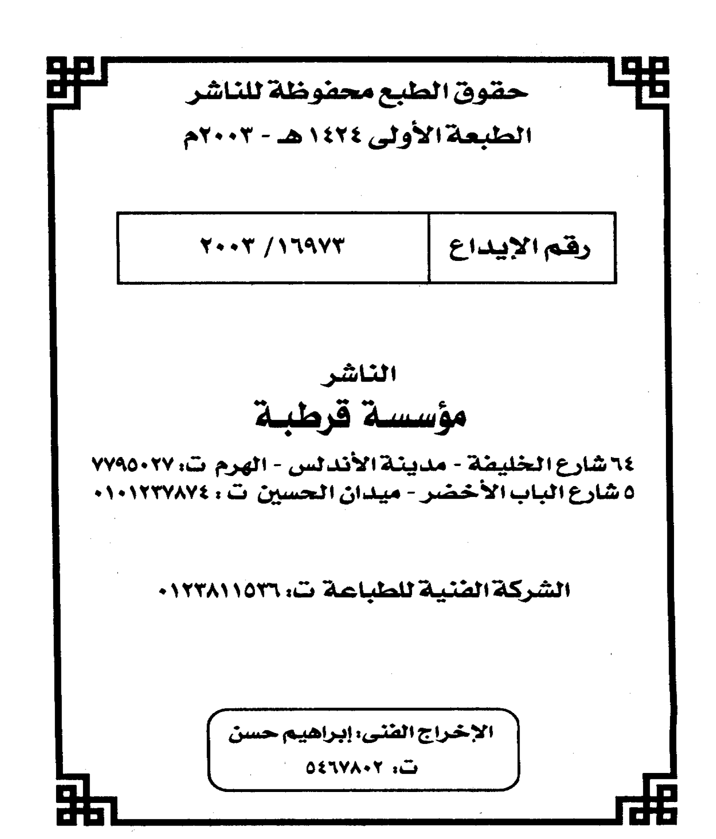
جمع وترتيب

محمود المصرى

أبو عمار

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع	١٦٩٧٣/ ٢٠٠٣

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: ٠١٢٣٨١١٥٣٦

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٥٤٦٧٨٠٢

إنذار

يقول صاحب هذه القصة:

عشت مرحلتى الدراسية الأولى مع والدى.. فى بيئة صالحة أسمع دعاء أمى وأنا عائد من سهرى آخر الليل.

أسمع صوت أبى فى صلاته الطويلة.. طالما كنت أقف متعجبًا من طولها.. خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد.. أتعجب فى نفسى وأقول.. ما أصبره.. كل يوم هكذا.. شىء عجيب، لم أكن أعرف أن هذه هى راحة المؤمن وأن هذه هى صلاة الأخيار.. يهبون من فرشهم لمناجاة الله.

بعد المرحلة التى قطعتها فى دراستى العسكرية.. ها قد كبرت وكبر معى بعدى عن الله.. على الرغم من النصائح التى أسمعها وتطرق مسامعى بين الحين والآخر.. عينت بعد تخرجى فى مدينة غير مدينتى وتبعد عنها مسافة بعيدة.. ولكن معرفتى الأولى بزملائى فى العمل خففت ألم الغربة على نفسى.. انقطع عن مسامعى صوت القرآن.. انقطع صوت أمى التى توقظنى للصلاة وتحثنى عليها.. أصبحت أعيش وحيدًا.. بعيدًا عن الجو الأسرى الذى عشته من قبل.. تم توجيهى للعمل فى مراقبة الطرق السريعة.. وأطراف المدينة للمحافظة على الأمن ومراقبة الطرق ومساعدة المحتاجين.. كان عملى متجددًا وعشت مرتاحًا.. أؤدى عملى بجد وإخلاص.. ولكن عشت مرحلة متلاطمة الأمواج.. تتقاذفنى الحيرة فى كل

اتجاه. . لكثرة فراغى. . وقلة معارفى.

وبدأت أشعر بالملل. . لم أجد من يعيننى على دينى. . بل العكس هو الصحيح. . من المشاهدة المتكررة فى حياتى العملية الحوادث والمصابين. . ولكن كان يومًا مميزًا. . فى أثناء عملنا توقفت أنا وزميلى على جانب الطريق. . نتجاذب أطراف الحديث. . فجأة سمعنا صوت ارتطام قوى. أدرنا أبصارنا. . فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرى كانت قادمة من الاتجاه المقابل. . قمنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين. . حادث لا يكاد يوصف. . شخصان فى السيارة فى حالة خطيرة. . أخرجناهما من السيارة، ووضعناهما ممدين. . أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية. . الذى وجدناه فارق الحياة. . عدنا للشخصين فإذا هما فى حالة الاحتضار. هب زميلى يلقنهما الشهادة.

قولوا: لا إله إلا الله. لا إله إلا الله.

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء. . أرهبنى الموقف. . وكان زميلى على عكسى يعرف أحوال الموت. . أخذ يعيد عليهما الشهادة. . وقفت منصتًا. . لم أحرك ساكنًا شاخص العينين أنظر. . لم أر فى حياتى موقفًا كهذا. . بل قل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة. . أخذ زميلى يردد عليهما كلمة الشهادة. . وهما مستمران فى الغناء. .

لا فائدة. .

بدأت صوت الغناء يخفت.. شيئًا فشيئًا. سكت الأول وتبعه الثاني.. لا حراك.. فارقا الدنيا.

حملناهما إلى السيارة.. وزميلى مطرق لا ينبس ببنت شفة.. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق. قطع هذا الصمت صوت زميلى فذكر لى حال الموت وسوء الخاتمة.. وأن الإنسان يختم له إما بخير أو شر.. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان فى الدنيا غالبًا.. وذكر لى القصص الكثيرة التى رويت فى الكتب الإسلامية.. وكيف يختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه.

قطعنا الطريق إلى المستشفى فى الحديث عن الموت والأموات. وتكتمل الصورة عندما أتذكر أنا نحمل أمواتًا بجوارنا.. خفت من الموت واتعظت من الحادثة.. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة.. ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج.

بدأت أعود إلى ما كنت عليه.. وكأنى لم أشاهد الرجلين وما كان منهما.. ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغانى.. ولا أتلهف عليها كسابق عهدى.. ولعل ذلك مرتبط بسماعى لغناء الرجلين حال احتضارهما.

من عجائب الأيام.. بعد مدة تزيد على ستة أشهر.. حصل حادث عجيب.. شخص يسير بسيارته سيرًا عاديًا.. وتعطلت سيارته.. فى أحد الأنفاق المؤدية إلى المدينة.

ترجل من سيارته لإصلاح العطل فى أحد العجلات..

عندما وقف خلف سيارته، لكى ينزل العجلة السليمة جاءت سيارة مسرعة، وارتطمت به فى الخلف سقط مصابًا إصابات بالغة.

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول، وحملناه معنا فى السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله.

شاب فى مقتبل العمر، متدين يبدو ذلك من مظهره عندما حملناه سمعناه يهمهم، ولعجلتنا فى سرعة حمله لم نميز ما يقول، ولكن عندما وضعناه فى السيارة وسرنا. سمعنا صوتًا مميزًا.

إنه يقرأ القرآن، وبصوت ندى، سبحان الله لا تقول هذا مصاب، الدم قد غطى ثيابه، وتكسرت عظامه، بل هو على ما يبدو على مشارف الموت.

استمر يقرأ بصوت جميل يرتل القرآن، لم اسمع فى حياتى مثل تلك القراءة، كنت أحدث نفسى وأقول سالقنه الشهادة مثل ما فعل زميلى الأول، خاصة وأن لى سابق خبرة كما أدعى، أنصت أنا وزميلى لسماع ذلك الصوت الرخيم، أحسست أن رعشة سرت فى جسدى، وبين أضلعى فجأة، سكت ذلك الصوت التفت إلى الخلف، فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد.

ثم انحنى رأسه.

قفزت إلى الخلف.

لمست يده.

قلبه.. أنفاسه.. لا شيء.. فارق الحياة.

نظرت إليه طويلاً سقطت دمعة من عينى أخفيتها عن زميلى التفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات، انطلق زميلى فى البكاء، أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعى لا تقف: أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثرًا.

وصلنا المستشفى أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل الكثير تأثروا من حادثة موته وذرفت دموعهم أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبل جبينه الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يصلى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه.

اتصل أحد الموظفين فى المستشفى بمنزل المتوفى، كان المتحدث أخوه، قال عنه: إنه يذهب كل إثنين لزيارة جدته الوحيدة فى القرية كان يتفقد الأرامل والأيتام، والمساكين، كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية، وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها، وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق: إننى أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية، وإننى أحتسب إلى الله كل خطوة أخطوها.

من الغد، غص المسجد بالمصلين صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة، صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة،

وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة، أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة، وجهوا وجهه للقبلة، بسم الله وعلى ملة رسول الله، بدأنا نهيل عليه التراب.

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل.

استقبل أول أيام الآخرة، واستقبلت أول أيام الدنيا، تبت مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتنى على طاعته وأن يختم لى بخير، وأن يجعل قبرى وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة[١].

إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم

عن إبراهيم النخعى قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد، فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى، فأرسل يخطبها من أبيه، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتينى إلى بيتى، فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الانعام: ١٥)، أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها، فلما أبلغها

(١) الزمن القادم. عبد الملك القاسم (ص: ٣٠ ـ ٣٦) بتصرف.

الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله!! والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد[1].

أيها الأخ الحبيب: إذا حدثتك نفسك بأى معصية فياليتك ترفع شعار ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٥).

إنه شعار لا يرفعه إلا من وصل إلى مرتبة الإحسان، وهى: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

صدقوا ما عاهدوا

يقول: "أنس بن مالك" غاب عمى "أنس بن النضر" عن قتال يوم بدر فقال: غبت عن أول قتال مع رسول الله ﷺ لئن أشهدنى الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعنى المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم مشى بسيفه فلقيه (سعد بن معاذ) فقال: أى سعد، والله إنى لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قتل، فقال سعد يا رسول الله ﷺ ما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، فما

(١) العفة ومنهج الاستعفاف (ص: ١١٢).

عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه ـ رؤوس الأصابع ـ قال أنس: فكنا نتحدث عن هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ نزلت فيه وفي أصحابه.

وفى رواية أنه لما شاع خبر مقتل النبى ﷺ انهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار فى نفوس كثير من أصحاب النبى فتوقف منهم من توقف عن القتال وألقى أسلحته مستكينًا ومر بهؤلاء أنس بن النضر وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله. ثم قال: اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهًا لريح الجنة يا سعد، إنى أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم (متفق عليه).

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه يقوده صدقه إلى تلك الخاتمة السعيدة فيجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

وهكذا فإن العبد إذا صدق مع الله، فإن الله يحفظ عليه إيمانه ويثبت قلبه على التوحيد ويرزقه حسن الخاتمة.

بل هو خير لكم

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور: ١١).

طرد الرسول ﷺ من مكة فأقام فى المدينة، دولة ملأت سمع التاريخ وبصره.

سجن أحمد بن حنبل وجلد، فصار إمام السنة، وحبس ابن تيمية فأخرج من حبس علمًا جمًا، ووضع السرخسى فى قعر بئر معطلة، فأخرج عشرين مجلدًا فى الفقه.

سجنت فرنسا قبل ثورتها العارمة شاعرين مجيدين متفائلاً ومتشائمًا فأخرجا رأسيهما من نافذة السجن. فأما المتفائل فنظر نظرة فى النجوم فضحك، وأما المتشائم فنظر إلى الطين فى الشارع المجاور فبكى.

فاعلم أيها الأخ الحبيب: أن الله (جل وعلا) أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.. فإذا جاءك البلاء فاحمد الله عليه واعلم أن الخير كل الخير فيما يختاره ويقدره الله لك وإن لم تظهر لك الحكمة من وراء هذا البلاء.

موت على الطريق

شاب يقول: كنت غافلاً عن الله، بعيدًا غارقًا فى لجج المعاصى والآثام، فلما أراد الله لى الهداية قدر لى حادثًا أعادنى إلى رشدى وردنى إلى الصواب ففى يوم من الأيام وبعد أن

قضينا أيامًا جميلة فى نزهة عائلية فى مدينة الدمام، انطلقت بسيارتى عبر الطريق السريع بين الدمام والرياض ومعى أخواتى الثلاث، وبدل أن أدعو بدعاء السفر المأثور استفزنى الشيطان بصوته وأجلب علىّ بخيله ورجله وزين لى سماع الأغانى لأظل سادرًا غافلاً عن الله، ولم أكن حينذاك أحرص على سماع إذاعة القرآن الكريم، أو الأشرطة الإسلامية النافعة للمشايخ والعلماء؛ لأن الحق والباطل لا يجتمعان فى قلب واحد أبدًا.

إحدى أخواتى كانت صالحة مؤمنة ذاكرة لله حافظة لحدوده، طلبت منى أن أسكت الأغانى وأستمع إلى صوت الحق، ولكن أنى لى أن أستجيب لذلك، وقد استحوذ على الشيطان وملك على جوارحى وفؤادى، فأخذتنى العزة بالإثم فرفضت طلبها وقد شاركنى فى ذلك أختاى الأخرتان، وكررت أختى المؤمنة طلبها، فازددت عنادًا وإصرارًا، وأخذنا نسخر منها ونحتقرها، بل إنى قلت لها ساخرًا: إن أعجبك الحال وإلا أنزلتك على قارعة الطريق!! فصمتت أختى على مضض وقد كرهت هذا العمل بقلبها وأدت ما عليها، والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وفجأة حصل ما لم يكن فى الحسبان وبقدر من الله سبق، انفجرت إحدى عجلات السيارة ونحن نسير بسرعة شديدة، فانحرفت السيارة عن الطريق وهوت فى منحدر جانبى فأصبح

أسفلها أعلاها بعد أن انقلبت عدة مرات، وأصبحنا فى حال لا يعلمها إلا الله العلى العظيم، فاجتمع الناس حول سيارتنا المنكوبة، وقام أهل الخير بإخراجنا من بين الحطام والزجاج المتناثر، ولكن ما الذى حدث؟ لقد خرجنا جميعًا سالمين، إلا من بعض الإصابات الخفيفة ما عدا أختى المؤمنة الصابرة المحتسبة الطيبة فقد توفيت، نعم لقد ماتت أختى الحبيبة التى كنا نستهزئ بها واختارها الله إلى جواره، وإنى لأرجو أن تكون فى عداد الشهداء الأبرار وأسأل الله أن يرفع منزلتها ويعلى درجتها فى جنات النعيم.

أما أنا فقد بكيت على نفسى قبل أن أبكى على أختى، وانكشف عنى الغطاء فأبصرت حقيقة نفسى، وما كنت فيه من الغرور والغفلة والضياع، وعلمت أن الله جل وعلا قد أراد بى خيرًا وكتب لى عمرًا جديدًا لأبدأ حياة جديدة ملؤها الإيمان بالله والعمل الصالح.

وكلما تذكرت أختى أذرف دموع الحزن والندم، وأتساءل فى نفسى: هل سيغفر الله لى؟ فأجد الجواب فى كتاب الله ـ عز وجل فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣) انتهت القصة!!

هذا ما تفعله الغفلة عن الله، واتباع سبيل الشيطان

والاستماع إلى الأغانى، حيث إن صاحبها فى سكر دائم يجعله غافلاً عن ذكر الله، ولقد حرم الله الغناء فى مكة المكرمة قبل الهجرة وقبل أن تفرض كثير من الفرائض، وقبل أن تحرم سائر المحرمات من خمر وغيره، وذلك لخطورته على الأخلاق والسلوك، وذلك لكى يشب القلب ويبنى على الطهارة والفضيلة من البداية.

وأضرار الغناء لا يجهلها عاقل، فهو يفسد العقل وينقض الحياء، ويهدم المروءة، وهو سبب ذهاب الغيرة ونور الإيمان من القلوب، ويقرب من يستمعه من الشيطان ويبعده عن الله وهو بريد الزنا والفواحش، وهو الذى ألهى الأمة عن القرآن وعن الذكر وعن الطاعة وأنبت النفاق فى قلوب مستمعيه.

والغناء محرم بالكتاب والسنة فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان: ٦).

قال ابن مسعود فى تفسير هذه الآية: "والله الذى لا إله إلا الله إنه الغناء" وأقسم على ذلك ثلاث مرات.

وقال ﷺ: "ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم - أى جبل - يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم الفقير لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة" (رواه البخارى). والحر: المقصود به

الزنا، والمعارف: هى الأغانى وآلات الطرب.

فلو كان الغناء والمعازف حلالاً لما ذمهم رسول الله ﷺ باستحلالهما، ولما جعل عقوبتهم كعقوبة من يستحل الخمر والزنا، ولما توعدوا بهذا الوعيد الشديد، فمن استمع الغناء فهو مهدد بهذه العقوبة الفظيعة فى الدنيا قبل عذاب الآخرة.

فالله سبحانه وتعالى خلق السمع لنسمع فيه ما ينفع وما يرضى الله، فلماذا نسمع فيه ما يغضب ربنا من ساقط الكلام ورديء الأشعار؟ أهذا هو شكر النعمة؟! أما يخشى العاصى من عقوبة الله؟! هل نسينا الموت وسكرته والقبر وظلمته والصراط ودقته والحساب وشدته؟! ألسنا مسلمين؟! إن المسلم لم يخلق لتوافه الأمور كاللهو واللعب وسماع الغناء، إنه خلق ليعبد الله وينشر دينه ويجاهد فى سبيله[١].

إرادة فولاذية

ذهب طالب من بلاد الإسلام يدرس فى الغرب، وفى لندن بالذات، فسكن مع أسرة بريطانية كافرة، ليتعلم اللغة، فكان متدينًا وكان يستيقظ مع الفجرالباكر، فيذهب إلى صنبور الماء ويتوضأ، وكان ماءً باردًا، ثم يذهب إلى مصلاه، فيسجد لربه ويركع ويسبح ويحمد، وكانت عجوز فى البيت تلاحظه دائمًا، فسألته بعد أيام: ماذا تفعل؟ قال: أمرنى دينى أن أفعل هذا.

(١) قصص وآثار. ناصر الفهيد (ص: ٥ - ٩) بتصرف.

قالت: فلو أخرت الوقت الباكر حتى ترتاح فى نومك ثم تستيقظ. قال: لكن ربى لا يقبل منى إذا أخرت الصلاة عن وقتها، فهزت رأسها، وقالت: إرادة تكسر الحديد!! ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾ (النور: ٣٧).

إنها إرادة الإيمان، وقوة اليقين، وسلطان التوحيد. هذه الإرادة هى التى أوحت إلى سحرة فرعون، وقد آمنوا بالله رب العالمين فى لحظة الصراع العالمى بين موسى وفرعون، قالوا لفرعون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ (طه: ٧٢) وهو التحدى الذى ما سُمع بمثله، وأصبح عليهم أن يؤدوا هذه الرسالة فى هذه اللحظة، وأن يبلغوا الكلمة الصادقة القوية إلى هذا الملحد الجبار.

لقد دخل حبيب بن زيد إلى مسيلمة يدعوه إلى التوحيد، فأخذ مسيلمة يقطعه بالسيف قطعة قطعة، فما أن ولا صاح ولا اهتز حتى لقى ربه شهيدًا ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ١٩).

ورفع خبيب بن عدى على مشنقة الموت، فأنشد:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا
على أى جنب كان فى الله مصرعى[١]

(١) لا تحزن. الشيخ عائض القرني (ص: ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

ربما صحت الأجسام بالعلل

ذكر أهل السير: أن رجلاً أصابه الشلل، فأقعد فى بيته، ومرت عليه سنوات طوال من الملل واليأس والإحباط، وعجز الأطباء فى علاجه، وبلغوا أهله وأبناءه، وفى ذات يوم نزلت عليه عقرب من سقف منزله، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه، فأتت إلى رأسه وضربته برأسها ضربات ولدغته لدغات، فاهتز جسمه من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، وإذا بالحياة تدب فى أعضاءه، وإذا بالبرء والشفاء يسير فى أنحاء جسمه، وينتفض الرجل ويعود نشيطًا، ثم يقف على قدميه، ثم يمشى فى غرفته، ثم يفتح بابه، ويأتى أهله وأطفاله، فإذا الرجل واقفًا، فما كانوا يصدقون، وكادوا من الذهول يصعقون، فأخبرهم الخبر.

فسبحان الذى جعل علاج هذا الرجل فى هذا!!

وفى السماء رزقكم

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢).

ولكنا نجد كثيرًا من الناس يتعجلون الحصول على الرزق من الحرام مع أنهم لو صبروا لنالوا هذا الرزق من الحلال.

تذكرنى هذه بقصة لعلى ﷺ وقد دخل مسجد الكوفة ليصلى ركعتى الضحى، فوجد غلامًا عند الباب، فقال: يا

غلام، احبس بغلتى حتى أصلى. ودخل على المسجد، يريد أن يعطى هذا الغلام درهمًا، جزاء حبسه للبغلة، فلما دخل على المسجد، أتى الغلام إلى خطام البغلة، فاقتلعه من رأسها وذهب به إلى السوق ليبيعه، وخرج على فما وجد الغلام، ووجد البغلة بلا خطام، فأرسل رجلاً فى أثره، وقال: اذهب إلى السوق، لعله يبيع الخطام هناك. وذهب الرجل، فوجد هذا الغلام يحرج على الخطام، فشراه بدرهم، وعاد يخبر عليًا، قال: سبحان الله! والله لقد نويت أن أعطيه درهمًا حلالاً، فأبى إلا أن يكون حرامًا.

طعامٌ بطعام

كان شيخ كريم، فقير فى حاله لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقى بردان يرتجف، فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفرة من بين أولاده فيعطيها السائل، وفى يوم من أيام رمضان وقد وضعت المائدة انتظارًا للأذان فجاءه السائل يقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له وأعطاه الطعام كله، فلما رأت ذلك امرأته صرخت وأقسمت ـ من الغضب ـ أنها لا تبقى عنده بينما هو ساكت، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا هو أن أحد الأغنياء كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف ألا يأكل أحد من الطعام،

وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقير الكريم.

أخي الحبيب: أنفق ولا تخشى الفاقة فلقد قال (جل وعلا) كما في الصحيحين: "أنفق أنفق عليك" وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

وقال ﷺ: "ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة..." (صحيح الجامع: ٣٠٢٤).

ويرزقه من حيث لا يحتسب

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعًا متعبًا فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تقرقر، فأطلق عينيه في الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها بحفظ الله ورعايته ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع وقال لنفسه: ويحك كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عن ما يريد، قال صاحبنا: "دخلت بستانك الذي بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها ثم تذكرت أنها ليست لي وأريد منك أن تعذرني في أكلها وأن تسامحني عن هذا الخطأ فقال الرجل: لا أسامحك، ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد، قال صاحبنا: وهو (ثابت بن النعمان): وما هو هذا

الشرط؟ قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتى قال ثابت: أتزوجها، قال الرجل: ولكن انتبه إن ابنتى عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم وصماء لا تسمع وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر - أنعم بها من ورطة - ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنم جزاء ما أكله من التفاحة وما الأيام وما الدنيا إلا أيامًا معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع فاضطرب حاله وتمنى أن لو تبتلعه الأرض قبل هذه الحادثة ولكنه توكل على الله وقال: "لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون" ودخل عليها يوم الزفاف فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين فى الجنة. قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها قالت: "صدق أبى ولم يكذب" قال: اصدقينى الخبر قالت: أبى قال عنى إننى خرساء لأننى لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لى، وإننى صماء لأننى ما جلست فى مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإننى عمياء لأنى لم أنظر إلى أى رجل لا يحل لى. فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى وهذه المرأة التقية

وكيف جمع الله بينهما.

محنة واختبار

أخبرني أحد أعيان مدينة الرياض أنه في عام ١٣٧٦هـ، ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا تصلي صلاة، وإذاهم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلي لله - عز وجل - كل صلاة، وما حصلنا على شيء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!! فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلبها ونظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر.

ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها في البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذي عصينا الله فيه، فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك في خيمتهم، ثم اقتربوا من

البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. ا.هـ[1].

لا خير فى ملك لا يساوى شربة ماء

ودخل ابن السماك الواعظ على هارون الرشيد، فظمئ هارون وطلب شربة ماء، فقال ابن السماك: لو منعت هذه الشربة يا أمير المؤمنين، أتفتديها بنصف ملكك؟ قال: نعم. فلما شربها، قال: لو منعت إخراجها، أتدفع نصف ملكك لتخرج؟ قال: نعم. قال ابن السماك: فلا خير فى ملك لايساوى شربة ماء.

أجل والله إن الحياة لا تستحق أن نحزن على فواتها فالدنيا بكل ما فيها من متاع زائل لا تساوى عند الله جناح بعوضة فلماذا الحزن عليها، فالحياة لا تستحق الحزن.

قال نابليون فى "سانت هيلينا": "لم أعرف ستة أيام سعيدة فى حياتى"!!

قال هشام بن عبد الملك ـ الخليفة ـ: "عددت أيام سعادتى فوجدتها ثلاثة عشر يومًا".

وكان أبوه عبد الملك يتأوه ويقول: "يا ليتنى لم أتول الخلافة".

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

قال سعيد بن المسيب: الحمد لله الذى جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم.

كما تزرع تحصد

إن الذى تزرعه هنا ستحصده هناك، وما أدراك ما هناك. يوم أن تدخل قبرك وحدك فتجد هناك حصاد الخير الذى زرعته فى الدنيا أو تجد حصاد الشر الذى زرعته فى الدنيا، فإن كنت تريد النجاة من النيران، وإن كنت تريد النعيم فى الجنان والفوز برضوان الرحيم الرحمن (جل وعلا) فعليك أن تغتنم كل لحظة من عمرك فى غرس الخير لتجنى حصاده فى الآخرة.

ها هو رجل كان له عبد يعمل فى مزرعته، فيقول هذا السيد لهذا العبد: ازرع هذه القطعة (برًا) وذهب وتركه، وكان هذا العبد لبيبًا عاقلاً، فما كان منه إلا أن زرع شعيرًا بدل (البر) ولم يأت ذلك الرجل إلا بعد أن استوى وحان وقت حصاده، فجاء فإذا هى قد زرعت شعيرًا، فما كان منه إلا أن قال: أنا قلت لك ازرعها برًا لم زرعتها شعيرًا، قال: رجوت من الشعير أن ينتج برًا، قال: يا أحمق أو ترجو من الشعير أن ينتج برًا.

قال: يا سيدى أفتعصى الله وترجو رحمته، أفتعصى الله وترجو جنته، ذعر وخاف واندهش، وتذكر أنه إلى الله قادم فقال: تبت إلى الله وأبت إلى الله، أنت حر لوجه الله.

* * *

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد

كان (المبارك) عبدًا رقيقًا أعتقه سيده، ثم اشتغل أجيرًا عند صاحب بستان، وفى ذات يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: ائتنا برمان حلو، فقطف رمانات ثم قدمها إليهم فإذا هى حامضة، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لم تأذن لي أن آكل حتى أعرف الحلو من الحامض. فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا (وظن أنه يخدعه) فسأل الجيران عنه فقالوا: ما أكل رمانة واحدة، فقال له صاحب البستان: يا مبارك، أريد أن استشيرك فى أمر هام، إننى ليس عندى إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها؟ فقال له: يا سيدى لقد كان اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أى الأصناف أنت زوج ابنتك للصنف الذى أنت منه. فقال: والله لا أزوجها إلا على التقوى وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد زوجتك ابنتى!!!

سبحان الله عف المبارك عن رمانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته، والجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ومن هذا البيت خرج شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك الذى كان يقول: لأن أرد درهمًا من شبهة خير لى من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، حتى عد ستمائة ألف درهم ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ

ربه﴾ (الأعراف: ٥٨).

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد.

أيها الأخ الحبيب: إن تقوى الله ومراقبته وخشيته فى السر والعلن من أعظم الأسباب الميسرة للعفاف، فعليك بتقوى الله وسوف يسوق الله (عز وجل) لك زوجة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك.

(الله أكبر)... نداءٌ أحيا قلبًا ميتًا

قال الشاب التائب ما ملخصه: مر عشرون خريفًا من عمرى وأنا بظلام دامس، أتخبط خبط العشواء، لا أحس للدنيا طعمًا، المال كثير أخلائى كثير، ماذا ينقصنى؟ فى نفسى جوعة وفى صدرى ضيق، ماذا يشبع تلك الجوعة ومن ذا يشرح هذا الضيق؟ لم تشبع نفسى قط، معازف لم تشرح صدرى، على العكس تمامًا فالجوعة زادت، والضيق ازداد، بدلت أخلائى، سافرت وعدت، سهرت كثيرًا وشربت، ولهوت كثيرًا وتعبت، والجوعة دائمًا تزداد والضيق كذلك، أحسست كأنى مسجون فى دنياى، وأن الأرض برحابتها ضاقت، فكرت كثيرًا وطويلاً، وأخيرًا ظهر الحل.. الآن سأشعر بالراحة، وهذه سكينى بيدى تلمع باسمة راضية عن هذا الحل، الناس هجوع والأهل نيام. لم يبق سوى لحظات وأعيش ساعات الراحة.

لكن وأنا فى تلك اللحظات وسكينى فى يدى تقترب من قلبى الميت، جاء من أقصى الصمت صوت يسعى ويقول: الله

أكبر.. الله أكبر. سقطت سكينى من يدى، وتحرك قلب الميت، وكأنه كان بغيبوبة، واستيقظ بعد طول سبات، ويح نفسى ماذا جد؟ أغريب هذا الصوت؟ عشرون خريفًا تسمعه، أما أحسست معناه إلا الآن! وشرعت أحقق رغبة نفسى بإجابة هذا الصوت، أخذت وضوءًا[١] وبدأت وضوئى أسلت الماء على وجهى المرهق.. فارتاح وأراح براحته نفسى، خرجت إلى الشارع متجهًا نحو المسجد، والكون مخيف بهدوئه، لا صوت يعلو لا ضوضاء.. دخلت المسجد مع تثويب[٢] صلاة الفجر.. وقفت فى الصف مع الناس.. طراز من الناس لم أعهده بحياتى.. وجوه بيضاء يشع منها نور، ونفوس طيبة مرتاحة.

تقدم بين الناس إمام أقبل عليهم بوجهه يحثهم على تسوية الصف، وشرعت أصلى خلفه.. ونفسى مرتاحة، وصدرى مشروح، بدأ يقرأ آيات وأنا أنصت، فى تلك اللحظات نزلت دمعة أحسست ملوحتها، وشعرت بلسعتها، أجهشت ببكاء صادق، صنع فى نفسى أزيزًا كأزيز المرجل، فنزل الدمع غزيرًا، وسال على خدى، وسقى أرضا جدباء فى قلبى الميت، فأحيا بهذا الدمع، - بعد كلام الله - موت فؤادى، وكان بمعية هذا الغيث صوت الرعد، رعد الرحمة، صوت نحيبى وبكائى من

---

(١) الوضوء هو الماء الذي يتوضأ به، أما الوضوء بضم الواو فهو نفس الفعل.

(٢) التثويب هو: إقامة الصلاة، وهو المقصود هنا، ويطلق التثويب كذلك على قول المؤذن: "الصلاة خير من النوم".

خشية رب الناس[١].

نعم أيها الحبيب: إنه لا راحة ولا نعيم إلا في ظل الإيمان والطاعة.. أما سمعت قول الله (عزوجل): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

أما سمعت قول رسول الله ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً" (أخرجه مسلم).

وقوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..." (متفق عليه).

ويرزقه من حيث لا يحتسب

وقد ذكر التنوخي في كتابه "الفرج بعد الشدة" ما يناسب هذا المقام: أن رجلاً ضاقت عليه الحيل، وأغلقت عليه أبواب المعيشة، وأصبح ذات يوم هو وأهله لا شيء في بيتهم، قال: فبقيت أنا وأهلي اليوم الأول جوعى وفي الثاني، فلما دنت الشمس للمغيب، قالت لي زوجتي: اذهب وانطلق، والتمس لنا رزقًا أو طعامًا أو أكلاً، فقد أشرفنا على الموت. قال: فتذكرت قريبة لي امرأة، فذهبت إليها، وأخبرتها الخبر، قالت: ما في بيتنا إلا هذه السمكة وقد أنتنت قلت: علي بها، فإنا قد أشرفنا على الهلاك، وذهبت بها وبقرت بطنها، فأخرجت منها لؤلؤة، بعتها بآلاف الدنانير، وأخبرت قريبتي، قالت: لا آخذ

(١) من رسائل الدعوة الإسلامية جامعة الإسكندرية.

معكم إلا قسمى. قال: فاغتنيت فيما بعد، وأثثت من ذلك بيتى، وأصلحت حالى، وتوسعت فى رزقى. فهو لطف الله سبحانه وتعالى ليس غيره.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا

حدثنا أحد الفضلاء من العباد: أنه كان بأهله فى الصحراء، فى جهة البادية، وكان عابدًا قانتًا منيبًا ذاكرًا لله. قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا، وذهبت ألتمس ماء لأهلى، فوجدت أن الغدير قد جف، فعدت إليهم، ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة، فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ، واحتاج أطفالى للماء، فتذكرت رب العزة - سبحانه - القريب المجيب، فقمت فتيممت، واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدى وبكيت، وسالت دموعى، وسألت الله بإلحاح، وتذكرت قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ.....﴾ الآية، ووالله ما هو إلا أن قمت من مقامى، وليس فى السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكانى ومنزلى فى الصحراء، واحتكمت على المكان، ثم أنزلت ماءها، فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا، فشربنا واغتسلنا وتوضأنا، وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلاً خلف هذا المكان، وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لى بدعائى، فحمدت

الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ من بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِىُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)[١].

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

ويُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس فحضرهم قط فقدموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر ففعل كذلك وتردد مرارًا وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته فلما شكوا فى أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع بين خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى.

بل لقد رأى رجل عصفورًا صغيرًا يحمل طعامًا فى فمه ويصعد إلى نخلة عالية ثم يرجع ويأخذ طعامًا ويصعد به إلى تلك النخلة فصعد الرجل إلى بناية عالية ليرى ما يصنع ذلك العصفور فإذا به يرى العصفور قد وقف أمام حية عمياء ويصدر لها صوتًا فتفتح فمها فيضع لها الطعام فى فمها فتعجب الرجل

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٩).

وقال: إذا كان الله (عز وجل) سخر عصفورًا لتلك الحية فكيف أحمل هم الرزق وأنا موحدٌ لله (جل وعلا).

أليس الله بكاف عبده؟

وذكر بزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزًا فارسية كان عندها دجاج في كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا رب أستودعك الدجاج. فلما غابت، عدا كسرى على كوخها ليوسع قصره وبستانه، فذبح جنوده الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفتت إلى السماء وقالت: يا رب، غبت أنا فأين أنت! فانصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه.

العلماء..وزمن العزة

حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجًا إلى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال: ائتونى برجل من الصحابة. فقيل: يا أمير المؤمنين ماتوا قال: فمن التابعين فأتى بطاووس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ولم يكنه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا حتى هم بقتله فقيل له: أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسوله ﷺ لا يكون ذلك. فقال: يا طاووس ماحملك على ما صنعت؟ قال: وما صنعت؟ قال: خلعت عليك نعليك بحاشية بساطى. ولم

تسلم بيا أمير المؤمنين، ولم تكننى وجلست بجوارى بغير إذن. وقلت: يا هشام كيف أنت؟ فقال الطاووس: أما خلع نعلى بحاشية بساطك فإنى أخلعها بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على. وأما قولك لم تسلم على بيا أمير المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيًا بإمرتك فخفت أن أكون كاذبًا. وأما قولك لم تكننى فإن الله عز وجل سمى أنبياءه فقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى وكنى أعداءه فقال: تبت يدا أبى لهب. وأما قولك: جلست بجوارى، فإنى سمعت على بن أبى طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له: عظنى. فقال طاووس: سمعت على بن أبى طالب ﷺ يقول: إن فى جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل فى رعيته.

كلمة الحق أغلى من كل شىء

روى أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزور أخًا له، وكان غلمان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهى يخرجون من داره، وكان يوم ضيافة الأمير، فلما رآهم الزاهد. قال: "يا نفس وقع أمر إن سكت فأنت شريكة"، فرفع رأسه إلى السماء واستعان بالله وأخذ العصا فحمل عليهم جملة واحدة، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان وقصوا على الأمير، فدعا به وقال له: أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدى فى السجن؟

أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النار؟

الأمير: من ولاك الحسبة؟[١].

أبو غياث: الذى ولاك الإمارة.

الأمير: ولانى الخليفة.

أبو غياث: ولانى الحسبة رب الخليفة.

الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند.

أبو غياث: عزلت نفسى عنها.

الأمير: العجب فى أمرك تحتسب حين لم تؤمر وتمتنع حيث تؤمر.

أبو غياث: لأنك إن وليتنى عزلتنى، وإذا ولانى ربى لم يعزلنى أحد.

الأمير: سل حاجتك.

أبو غياث: حاجتى أن ترد على شبابى.

الأمير: ليس ذلك إلىّ. هل لك حاجة أخرى؟

أبو غياث: أن تكتب إلى مالك خازن النار أن لا يعذبنى.

الأمير: ليس لى ذلك أيضًا، هل لك حاجة أخرى؟

أبو غياث: أن تكتب إلى رضوان خازن الجنة أن يدخلنى الجنة.

---

(١) الحسبة: هي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمير: ليس ذلك إلى أيضًا.

أبو غياث: فإنها مع الرب الذى هو مالك الحوائج كلها لا أسأله حاجة إلا أجابنى إليها، فخلى الأمير سبيله.

ما ذنب البخارى؟ وما حيلة العلماء؟!!

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر، لوقوع الخلاف بين قوادها وجيوشها، ضاق صدر الخديوى لذلك، فركب يومًا مع شريف باشا، وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف: ماذا تصنع حينما تلم لك ملمة تريد أن تدفعها، فقال: يا أفندينا: إن الله عودنى إذا حاق بى شىء من ذلك أن ألجأ إلى صحيح البخارى، يقرؤه لى علماء أطهار الأنفاس، فيفرج الله عنى، قال: فكلم الخديوى شيخ الأزهر - وكان الشيخ العروسى - فجمع له صلحاء العلماء يتلون فى البخارى أمام القبة القديمة فى الأزهر، قال: ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى، فذهب الخديوى ومعه شريف إلى العلماء وقال محنقًا: إما أن هذا الذى تقرؤونه ليس صحيح البخارى، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لن يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئًا، فوجم العلماء، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، فإنا روينا عن النبى ﷺ أنه قال: "لتأمرن بالمعروف ولتهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم، فلا يستجاب لهم" (رواه الترمذى بإسناد حسن).

فزاد وجم المشايخ، وانصرف الخديوى ومعه شريف. ولم ينبسا كلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديوى ما قال؟

فقال الشيخ: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديوى فى قصره. فإذا به قاعدِ فى البهو وأمامه كرسى أجلس الشيخ عليه وقال له: أعد يا أستاذ ما قلته لى فى الأزهر، فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديوى: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء.

قال له: يا أفدينا أليس المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا برخصة؟ أليس الخمر مباحًا؟ أليس أليس، وعدد له منكرات تجرى بلا إنكار وقال: كيف ننتظر النصر من السماء؟ فقال الخديوى: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه هى مدينتهم؟

قال الشيخ: إذن فما ذنب البخارى؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديوى مليًا، وأطرق طويلاً ثم قال له: صدقت، صدقت(١).

---

(١) من أخلاق العلماء (ص: ١٠١ ـ ١٠٢).

الحمد لله على نعمة الإسلام

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

فأعظم وأجل نعمة فى الكون كله هى نعمة الإسلام.. واعلم أخى الحبيب أننا يجب علينا جميعًا أن نفتخر بأننا ننتسب لهذا الدين العظيم فيكون لسان حالنا ومقالنا فى كل وقت:

أبى الإسلام لا أب لى سواه　　إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

وها هو أظهر هويته الإسلامية وافتخر بانتسابه لهذا الدين فأكرمه الله (عز وجل) ويسر له كل أسباب الخير.

يحدث أحد الشباب وهو من الذين ذهبوا للدراسة فى أوروبا أن هناك رجلاً أسلم من الأوروبيين وحسن إسلامه وصار حريصًا على تطبيق شعائر الإسلام كلها حريصًا على أن يظهر إسلامه ويعتز به أمام الكفار دون خجل أو حياء أو تردد حتى ولو لم يكن هناك مناسبة فإنه يحرص على ذلك يقول: فأعلن فى إحدى المؤسسات الكافرة عن فرصة وظيفية فتقدم لها هذا المسلم الفخور بإسلامه وكان لابد من المقابلة الشخصية والتنافس قائم على هذه الوظيفة فلما بدأت المقابلة سألته اللجنة الخاصة بالمؤسسة عدة أسئلة كان منها هل تشرب الخمر؟ فأجاب قائلاً: لا أشرب الخمر لأننى أسلمت ودينى يمنعنى من معاقرة الخمر وشربها. قالت اللجنة: "هل لك خليلات وصديقات"؟

قال صاحبنا: "لا. . لأن دينى الإسلام الذى أنتسب إليه يحرم على ذلك ويقصر علاقتى على زوجتى التى نكحتها بمقتضى شريعة الله عز وجل" وخرج وهو شبه يائس من أن ينجح فى هذه المسابقة ولكن النتيجة أن جميع هؤلاء المتسابقين وكان عددهم كبيرًا فشلوا ونجح هو وحده فى هذه المسابقة فذهب إلى مسئول اللجنة وسأله قائلاً: "كنت أنتظر أن تحرمونى من هذه الوظيفة عقابًا لى على مخالفتى لكم فى دينكم وعلى اعتناق الإسلام، ولكنى فوجئت بقبولى على إخوانكم من النصارى فما سر ذلك؟! قال: إن المرشح لهذه الوظيفة كان يشترط فيه أن يكون شخصًا منتبهًا فى جميع الحالات حاضر الذهن، والشخص الذى يتعاطى الخمر لا يمكن أن يكون كذلك، فكنا نترقب شخصًا من الذين لا يشربون الخمر ونظرًا لتوفر هذا فيك فلقد وقع الاختيار عليك فى هذه الوظيفة.

فما الذى منع هذا المسلم من أن يكذب أو يخفى أمره أو يتلاعب بالألفاظ، إنها التقوى فما كان من بركة الله للمتقين أمثاله إلا التيسير والرزق من حيث لا يحتسبون.

دفاع عن أصحاب الرسول ﷺ

قال عمرو بن حبيب القاضى: حضرت مجلس الرشيد يومًا فجرت مسألة فتنازعها الخصوم، وعلت الأصوات فيها، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبى ﷺ فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: أبو

هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم.

فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ فنظر إلى الرشيد نظر مغضب، وانصرفت إلى منزلى، فلم ألبث أن جاءنى غلام فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أنى دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه، وأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى، حاسرًا ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع. فلما بصر بى قال: يا عمرو بن حبيب ما تلقانى أحد من الدفع والرد بمثل ما تلقيتنى به، وتجرأت على، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذى قلته ودافعت عنه، وملت إليه، وجادلت عنه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به، فإنه إذا كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام فى الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة. فالله الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصغى إليه، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ من الناس كلهم، فلما سمع كلامى ورجع إلى نفسه ثم قال: أحييتنى يا عمرو بن حبيب أحياك الله، أحييتنى أحياك الله[1].

وكيف لا يدافع المؤمن عن أصحاب الرسول ـ وهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين.

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ١٩٧).

قال ابن مسعود ﷺ من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم" .

هكذا كانت نخوة الرجال

عن أم سلمة ﷺ قالت: لما أجمع أبو سلمة ﷺ الخروج إلى المدينة، أى فى الهجرة، رحل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى "سلمة بن أبى سلمة" فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابنى "سلمة" بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس فى الأبطح، فما

أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبًا منها، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما بى، فرحمنى.

فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: فرد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى.

قالت: فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابنى، فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة.

قالت: وما معى أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معى إلا الله وبنى هذا.

فقال: والله! ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بى، فوالله! ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ بى، ثم استأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر بعيرى، فحط عنه، ثم قيده فى الشجر، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيرى فقدمه فرحله، ثم استأخرعنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه، فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة.

فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك فى هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان ابن طلحة(١).

قال الجزائرى حفظه الله: حقًا ما قالته، ما أعلم أهل بيت أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة هذه واحدة، وأخرى فى كمال عثمان بن طلحة الذى يضرب الرقم القياسى فى الكرم النفسى، إنه يجد امرأة على بعيرها تريد السفر مسافة عشرة أيام فى صحراء لا خضراء بها ولا ماء، فيقول وقد سألها عن حالها: والله مالك من مترك، ويقود بعيرها، ويحسن إليها فى ركوبها ونزولها، ويريها من العفة والكرم ما لم تراه امرأة مثلها قط.

آه!! أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوو النجدة؟! لقد أقفرت منهم الحياة، وأجدبت منهم ساحة الوجود، ولا خير فى دنيا يفقد فيها أمثال هؤلاء(٢).

نهاية ذئب بشرى

كانت هناك طالبة جامعية فى عمر الزهور فى العشرين من

(١) ابن هشام (٢/ ٧٥، ٧٦).
(٢) هذا الحبيب يا محب (ص: ١٥١ ـ ١٥٢).

عمرها . . جميلة وعاطفية ومن عائلة متواضعة ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أى رصيد من الدين أو الخلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه.

وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة فى مصيدته . . وبعد مراوغة وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز ما تملكه أى فتاة فى هذه الحياة.

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها بل وضياع دينها بعد أن أصبحت حاملاً من الزنى . . وظلت تتصل بهذا الذئب لكى ينفذ وعوده لها بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها . . . وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها فماذا تصنع فى تلك المصيبة.

وأخذت تطارده فى كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه أن يتزوجها فما كان منه إلا أن فكر فى فكرة لا تخطر على قلب إبليس . . فيا ترى ما هى تلك الفكرة؟

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك ولكن بشرط أن تأتى غدًا الساعة الرابعة إلى الشالية الذى أمتلكه فى المكان الفلانى لتقابلى أمى فإن رأتك أمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك.

وفى نفس الوقت اتفق هذا الذئب مع مجموعة من الذئاب البشرية لكى يذهبوا إلى الشالية فى نفس الموعد ليغتصبوا تلك الفتاة ثم يدخل عليها بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فعل بها كل هذا.

ووافقت الفتاة على الذهاب إلى الشالية فى الموعد المحدد ظنًا منها أن الله هداه وأنه سيستر عرضها.. لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها.

وفى الموعد المحدد قامت تلك الفتاة لتذهب إلى الشالية للقاء والدته (كما كان يزعم) وإذا بأخيها يصاب بألم شديد فى بطنه فكانت بين نارين.. بين أن تذهب إلى الشالية وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى المستشفى فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتها ـ أخت ذلك الذئب ـ وقالت لها: إننى على موعد الآن مع والدتك فى الشالية ولكن أخى مريض وسأذهب معه إلى المستشفى فأرجو منك أن تذهبى إلى الشالية لتخبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشالية ظنًا منها أن أمها هناك وهى لا تعرف لأن أمها فى هذا الوقت كانت خارج البيت، المهم أنها ذهبت إلى الشالية وبمجرد أن دخلت حتى انقض عليها الذئاب وانتهكوا عرضها وسلبوها أغلى ما تملكه أى فتاة وتركوها جثة هامدة.. وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب

ليرى ما صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشهد مبررًا له لأن يرفض الزواج منها. . ولكن كانت أكبر مفاجأة فى انتظاره!!!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا وزيادة. . وها هى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها. . فدخل ونظر إلى الفتاة وإذا بها أخته ملقاة فى حالة لا يرثى لها فلم يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة بل خرج صامتًا وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل إلى سيارته وفتح الباب ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدسًا وأطلق الرصاص على نفسه فمات فى التو واللحظة. . . ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: اتق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان والجزاء من جنس العمل.

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

حكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً فى الطريق فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم) فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًا وخادمًا أمينًا وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير ومتصرفًا فى شئون قصره. وفى أحد الأيام أمره أن يحضر شيئًا

من بعض حجراته فذهب ليحضر فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أزنى وقد أحسن إلى ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق وابعث به إلى فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفى يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقى فى طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكموه بينهم فى أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل فى شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم هو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه

على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاه وجاء به إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألانى بالله أن أكتم الخبر فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه، وكانت هذه عاقبة الوفاء ونهاية الخيانة: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣).

الجزاء من جنس العمل

اعلم أيها الأخ الكريم أنه كما تدين تدان وكما تزرع تحصد.

ذكر العلماء أن رجلاً كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بنى، ماذا تريد أن تفعل بى؟ قال: أريد أن أذبحك، قال: يا بنى هذا جزاء الإحسان؟ قال الابن: لابد من ذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى.. فقال الأب: يا بنى إن أبيت إلا ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية ولا تذبحنى هنا أو هناك؟ قال: يا بنى إن كان الجزاء من جنس العمل فاذبحنى عند الصخرة التالية فلقد ذبحت أبى هناك.. ولك يا بنى مثلها.

فاحرص أخى الحبيب على بر الوالدين لتظفر بالخير فى

الدنيا والآخرة فبر الوالدين سبب لتفريج الكربات ومجلبة للتوفيق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وهو سبب لسعة الرزق وزيادة العمر وهو سبب للفوز برحمة الله ومغفرته، وهو سبب لدخول جنة الرحمن كما قال سيد الأنام ﷺ: "الوالد أوسط أبواب الجنة" (صحيح الجامع: ٧١٤٥).

واحذر أخى الحبيب من مغبة العقوق، فالعقوق يجلب لك العقوبة فى الدنيا والآخرة فقد قال ﷺ: "بابان معجلان عقوبتهما فى الدنيا: البغى والعقوق" (صحيح الجامع: ٢٨١٠) والعقوق من أكبر الكبائر.. بل إن العاق لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً كما قال ﷺ: "ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: عاق ومنان ومكذب بالقدر" (صحيح الجامع: ٣٠٦٥). واعلم أنه كما تدين تدان وأن الجزاء من جنس العمل.

وتأمل معى تلك الأبيات التى تجعل القلب يبكى الدماء بدل الدموع:

أغرى امرؤ يومـًا غلامـًا جاهـلاً ... بنقـوده كيـما ينـال بـه الوطـر
قال ائتنـى بفـؤاد أمـك يا فتـى ... ولك الجواهر والدراهـم والـدرر
فمضى وأغرز خنجرًا فى صدرها ... والقلب أخرجه وعـاد على الأثـر
لكنـه من فـرط سرعـته هـوى ... فتدحرج القلب المقـطع إذ عـثر
نـاداه قلـب الأم وهـو معفـر ... ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر؟
فكأن هذا الصوت رغـم حنـوه ... غضب السماء على الغلام قد انهمر

فدرى فظيع جناية لم يجنها ... ولد سواه منذ تاريخ البشر
فارتد نحو القلب يغسله بما ... فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقول يا قلب انتقم منى ولا ... تغفر فإن جريمتى لا تغتفر
واستل خنجره ليطعن قلبه ... طعنًا فيبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كف يدا، ولا ... تطعن فؤادى مرتين على الأثر

لا تقنط أحدًا من رحمة الله

قال ﷺ : "كان رجلان في بنى إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهدًا فى العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلنى وربى، أبعثت على رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار" (صحيح الجامع: ٤٤٥٥).

اعلم أيها الأخ الحبيب: أن الهداية منحة ربانية يقذفها الله فى قلب من يشاء من عبادة.. والإنسان لا يملك هداية لنفسه فضلاً عن أن يملك هداية لغيره، فقد قال تعالى لحبيبه محمد ﷺ : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦).

فإذا أنعم الله عليك بنعمة الهداية فاسجد لله شكرًا على أن هداك ويسر لك الهدى، وإذا رأيت عاصيًا فما عليك إلا أن تتذكر قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤).

واعلم علم اليقين أنك لا تدرى بم يختم لك وله.. فقد يختم لهذا العاصى بخاتمة أهل السعادة بأن يوفقه الله فى آخر أيامه إلى توبة صادقة تمحو كل ذنوبه وآثامه بل وتبدل سيئاته كلها إلى حسنات.. وتأمل معى هذا الحديث لتعلم يقينًا أن العبد لا يعرف خاتمته وعليه ألا يأمن على نفسه حتى يضع قدمه فى جنة الرحمن جل وعلا قال ﷺ: "إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم (له) عمله بعمل أهل الجنة" (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: "إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة" (متفق عليه).

زاد الإمام البخارى: "وإنما الأعمال بخواتيمها".

إنما المؤمنون إخوة

وها هو سعد بن الربيع الذى تعايش مع كل آية من آيات القرآن ومع كل حديث من أحاديث النبى ﷺ يحقق معنى

الأخوة كما أرادها الحق - جل جلاله - .

فعن أنس ﷺ أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بين وبينك شطرين - نصفين - ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فى أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سمن وأقط، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضر من صفرة فقال له رسول الله ﷺ "مهيم؟" قال: تزوجت امرأة من الأنصار، قال: "ما سقت فيها؟" قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب ﷺ فقال: "أولم ولو بشاة" (أخرجه البخارى).

وإن إعجاب المرء بسماحة (سعد)، لا يعدله إلا إعجابه بنبل (عبد الرحمن) الذى زاحم اليهود فى سوقهم وبزهم فى ميدانهم، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه. . ذلك أن علو الهمة من خلائق الإيمان.

على هيئة الأمم المتحدة بنيويورك لوحة، مكتوب عليها قطعة جميلة للشاعر العالمى السعدى الشيرازى، وقد ترجمت إلى الإنجليزية وهى تدعو إلى الإخاء والألفة والاتحاد، يقول:

قال لى المحبوب لما زرته من ببابى قلت بالباب أنا
قال لى أخطأت تعريف الهوى حينما فرقت فيه بيننا

ومضى عـــام فلمـــا جئتـــه أطـرق البـاب علـــيه موهنـــا
قال لى من أنت قلت أنظر فما ثـم إلا أنـــت بالبـــاب هنـــا
قال لى أحسنت تعريف الهـوى وعرفت الحب فادخـــل يا أنـــا

لابد للعبد من أخ مفيد يأنس إليه، ويرتاح إليه، ويشاركه أفراحه وأتراحه.

يكيفك ذلك واعمل عليه إلى الموت

قال شفيق البلخي: "وقد كان من أطباء القلوب" يومًا لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذى تعلمته منى منذ صحبتى (٣٠ سنة) فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تعالى: **﴿وَمَا من دَآبَّة فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّه رِزْقُهَا.....﴾** لأنى من جملة الدوَاب فَلَمَ أشغل قَلبى بما تكفَلَ به القوى المتين فقال له: أحسنت.

الثانى: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشى إليه سره ويشكو إليه أمره ولكنهم لا يكتمون الأسرار ولا يدفعون مصادمة الأقدار فجعلت صديقى العمل الصالح ليكون لى عونًا عند الحساب ويثبتنى بين يدى الله - عز وجل - ويرافقنى فى مرورى على الصراط. فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدوًا فنظرت فإذا الذى

اغتابنى ليس عدوى ولا من ظلمنى ولا من أساءنى لأنه إنما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى سيئاتى، ولكن عدوى هو الذى إذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى معصيته فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحدًا منهم يقربنى. فقال: أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت ـ عليه السلام ـ هو الطالب ففرغت نفسى لملاقاته حتى إذا ما جاء بادرت معه بلا عائق فقال له: أحسنت.

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسى فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه إلا الجنة أو النار. فقال له شقيق البلخى: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.

نعمة اليقين

قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاءه فى السنة ستين

دينارًا، فلم يطلع إلى منزله حتى يتصدق بها، ثم يجىء إلى منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له فتصدق به كله وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئًا فشكا إلى حيوة فقال: أنا أعطيته ربى بيقين وأنت أعطيته تجربة[١].

ولما قتل أحمد بن عبد الله الخجستانى ـ الذى استولى على البلاد ـ الإمام حكيان بن الذهلى، أخذ فى الظلم والعسف، وأمر بحربة ركزت على رأس المربعة، وجمع الأعيان وحلف إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة فقد أحلوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فخص تاجر بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبى عثمان وقال: قد حلف هذا كما بلغك، ووالله لا أهتدى إلا إلى هذا. قال: تأذن لى أن أفعل فيها ما ينفعك؟ قال: نعم. ففرقها أبو عثمان وقال للتاجر: امكث عندى. فما زال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح، وأذن المؤذن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السوق وانظر ماذا تسمع، فذهب ورجع، فقال: لم أر شيئًا، قال: اذهب مرة أخرى. وهو فى مناجاته يقول: وحقك لا أقمت ما لم تفرج عن المكروبين. قال: فأتى خادمه الفرغانى يقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ شق بطن أحمد بن عبد الله، فأخذ أبو عثمان فى الإقامة.

(١) السير (٦/ ٤٠٦).

قال الذهبى: بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت[١].

هكذا كانوا يصلون

سئل الحسن ﷺ: كيف كنتم تصلون على عهد رسول الله ﷺ؟

قال: كنا نصلى وكأننا وقوف على الصراط وكأن الجنة عن اليمين والنار عن الشمال والكعبة من أمامنا وملك الموت من خلفنا ينتظر قبض أرواحنا بعد تلك الصلاة ونحن جميعًا بين يدى الله.. ثم نصلى فإذا سلمنا لا ندرى أقبلت صلاتنا أم ردت علينا.

ومر عصام بن يوسف على حاتم الأصم فى مجلسه، فقال: يا حاتم تحسن تصلى؟ قال: نعم. قال: كيف تصلى؟ قال حاتم الأصم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكير، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله ـ عز وجل ـ وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يقبل الله منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت، قال: تكلم فأنت تحسن تصلى.

توبة بشر الحافى (رحمه الله)

كان بشر فى زمن لهوه فى داره، وعنده رفقاؤه يشربون

(١) السير (١٤/ ٦٢ ـ ٦٦).

ويطيبون، فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذا الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقت؛ لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب. فاستمع بشر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافيا حاسرًا، وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى، فقال: أى ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا. فتبعه بشر حتى لحقه، فقال له: يا سيدى، أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد على الكلام. فأعاده عليه، فمرغ بشر خديه على الأرض. فقال: بل عبد. ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عرف بالحفاء. فقيل له: لم لا تلبس نعلاً؟ قال: لأنى ما صالحنى مولاى إلا وأنا حافٍ، فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات[1].

عاد إلى الله بعدما رأى يوم القيامة فى منامه

يقول الشاب التائب: فى ليلة من الليالى ذهبت إلى فراشى كعادتى لأنام، فشعرت بمثل القلق يساورنى، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ونمت، فرأيت فيما يرى النائم أن شيئًا غريبًا وضخمًا قد وقع من السماء على الأرض لم أتبين ذلك الشىء، ولا أستطيع وصفه، فهو مثل كتلة النار العظيمة رأيتها تهوى،

(١) التوابين (ص: ٢١٠ ـ ٢١١).

فأيقنت بالهلاك. . أصبحت أتخبط فى الأرض، وأبحث عن أى مخلوق ينقذنى من هذه المصيبة، قالوا: هذه بداية يوم القيامة، وأن الساعة قد وقعت، وهذه أولى علاماتها.

فزعت وتذكرت جميع ما قدمت من أعمال الصالح منها والطالح، وندمت أشد الندم، قرضت أصابعى بأسنانى حسرة على ما فرطت فى جنب الله. قلت والخوف قد تملكنى: ماذا أفعل الآن؟ وكيف أنجو؟ فسمعت مناديًا يقول: اليوم لا ينفع الندم. سوف تجازى بما عملت، أين كنت فى أوقات الصلوات؟ أين كنت عندما أتتك أوامر الله؟ لم لم تمتثل الأوامر وتجتنب النواهى، كنت غافلاً عن ربك. قضيت أوقاتك فى اللعب واللهو والغناء وجئت الآن تبكى، سوف ترى عذابك.

زادت حسرتى لما سمعت المنادى يتوعدنى بالعذاب، بكيت وبكيت، ولكن بلا فائدة، وفى هذه اللحظة العصيبة استيقظت من نومى، تحسست نفسى فإذا أنا على فراشى.

لم أصدق أني كنت أحلم فقط حتى تأكدت من نفسى، تنفست الصعداء، ولكن الخوف ما زال يتملكنى، ففكرت وقلت: والله إن هذا إنذار من الله، ويوم الحشر لا بد منه، إذن لماذا أعصى الله؟ ولم لا أصلى؟ لم لا أنتهى عما حرم الله؟ أسئلة كثيرة جالت فى خاطرى، ولم أجد إلا إجابة واحدة: عد إلى الله حتى تنجو فى ذلك اليوم العظيم، أصبح الصباح وصليت الفجر، فوجدت حلاوة الإيمان فى قلبى،

وفى ضحى ذلك اليوم نزلت إلى سيارتى، نظرت بداخلها فإذا هى مليئة بأشرطة الغناء أخرجتها، واكتفيت ببعض الأشرطة الإسلامية النافعة، بقيت على هذه الحال فى كل يوم أتقدم خطوة إلى طريق الهداية التى أسأل الله أن يثبتنى وإياكم عليها[1].

ستة أخلاط لذهاب الحزن

ذكر صاحب "الفرج بعد الشدة": أن أحد الحكماء ابتلى بمصيبة، فدخل عليه إخوانه يعزونه فى المصاب، فقال: إنى عملت دواء من ستة أخلاط. قالوا: ما هى؟ قال: الخلط الأول: الثقة بالله. والثانى: علمى بأن كل مقدور كائن. والثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحنون.

والرابع: إن لم أصبر أنا فأى شىء أعمل، ولم أكن أعين على نفسى بالجزع. والخامس: قد يمكن أن أكون فى شر مما أنا فيه. والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

الحمد لله الذى أحياه بموت صاحبه

سقطت على الأرض مغشيًا عليها.

ليست المرة الأولى، فهى تعانى من إرهاق نفسى متواصل منذ أن تزوجت قبل سنتين، لقد أخبرها أنه رجل طيب، وفيه خير تستطيعين التأثير عليه لكى يتدارك أمور دينه، ويحافظ على

(١) العائدون إلى الله (ص: ١٤٢ ـ ١٤٣).

الصلاة مع الجماعة، وأنت يا بنيتى، قد تزوجت أختك الصغرى قبلك، وأعتقد أن هذا هو الأصلح لك.

وأصرت أمى على هذا الخاطب، فهو ميسور الحال، ومن عائلة معروفة، ومركزه الوظيفى جيد. مظاهره براقة لا تهمنى. فقد سألت عن الدين، هذا ما يهمنى، أريد رجلاً صالحًا يعيننى على الخير وعلى الطاعة، إن أحبنى أكرمنى وإن كرهنى سرحنى سراحًا جميلاً، فما أكثر ما نسمع من تلك القصص المبكية من ظلم الأزواج ومشاكلهم مع زوجاتهم لقلة الخلق والدين.

كنت أحلم بمن يوقظنى للصلاة فى جوف الليل، كنت أدعو الله فى ظلام الليل ودموعى تتساقط أن يرزقنى الرجل الذى يعيننى على الطاعة وأعيش معه على مرضاة الله نسير سويًا متجهين إلى الله، نقتفى أثر الرسول ﷺ وأصحابه الطيبين.

كنت أحلم بالرجل الذى يربى أبنائى تربية إسلامية صحيحة، كأننى أقف بالباب أرمقه هو وابنى وهما ذاهبان إلى المسجد، دعوت الله أن يتردد على مسامعى قول زوجى، كم حفظت اليوم من القرآن.

وكم جزءًا قرأت، أحلم أننى أقف بطفلى أمام الكعبة وأدعو له، سأنجب أكبر عدد من الأبناء طالما أن فى ذلك أجر، وأننى سأخرج للدنيا من يوحد الله، طالما حلمت الأحلام الكثيرة، ولطالما متعت نفسى بتلك الأحلام، الحمد لله على كل حال، احتسبت الأجر وصبرت على زوجى، فى البداية كان ينهض

للصلاة، مع مرور الأيام بدأ يتثاقل، ماذا تريدين، الله غفور رحيم. سأصلى الوقت مبكر.

هذا هو الرد السريع عندما أحثه على صلاة الجماعة حتى لا تفوته، أحس أنه يتغير مع إلحاحى إلى الأفضل، على الأقل هذا ما أتفاءل به.

كنت أخشى رفقاء السوء فقد حدثنى عن بعضهم، أصبحت أخشى عليه من تأثيرهم، فكرت فى طريقة قد تكون مجدية أكثر من نصحى له، لماذا لا أعرفه على الشباب الصالح فقد يتأثر بهم، زوج صديقتى شاب طيب وملتزم وصالح إن شاء الله، أسرعت للهاتف، رحبت صديقتى بالفكرة وشجعت زوجها، أخبرته أن صديقتى ستأتى ومعها زوجها، بعد أسبوع زارتنى صديقتى هى وزوجها، قلبى يرجف من الفرح، عسى الله أن يلقى فى قلبه حبه، كلما طالت وقت الزيارة كلما زادت دقات قلبى.

ودعت زميلتى عند الباب، رجعت إليه بسرعة، جلست أضغط على أصابعى بقوة، أنتظره يقول شيئًا، نظرت فى عينيه، فقال: لقد كان لطيفًا وذو خلق عال، ولكنه لم يبد حماسًا للقائهم وللذهاب لهم كما وعدهم برد الزيارة، حاولت بشتى الوسائل والسبل، أن أعينه على المحافظة على الصلاة فى المسجد.

الآن إلحاحى زاد بعد أن أنجبت منه ابنًا. أسهر الليالى

الطويلة لوحدى. هو يقهقه مع زملائه وأنا أبكى مع طفلى، أكثرت من الدعاء له بالهداية، قررت أن أصلى صلاة الليل فى غرفتنا بجواره عسى أن يستيقظ قلبه، أحيانًا يستيقظ ويرانى أصلى، وفى النهار ألاحظ عليه أنه يتأثر من صلاتى وطولها.

مساء ذلك اليوم أخبرنى أن أجهز له ثيابه، سيسافر إلى المدينة الفلانية فى رحلة عمل، لا أعرف صدقه من غيره، غالبًا يسافر ولا يتصل بنا، أحيانًا أخرى يتصل ويترك رقم غرفته وهاتفه، إذا اتصل عرفت أين هو، لكن أحيانًا كثيرة لا أعلم أين ذهب، ولكنى أحسن الظن بالمسلم إن شاء الله.

فى مدة سفرته سأخصه بالدعاء، فى اليوم التالى لسفره، اتصل بنا هذا رقم هاتفى الحمد لله، اطمأننت أنه فى المملكة.

انقطع صوته ثلاثة أيام، وفى اليوم الرابع أتى صوته، لم أكد أعرفه صوت حزين، ما بك؟! قال: سأعود الليلة إن شاء الله.

فى تلك الليلة لم أنم من كثرة بكائه ماذا جرى لك؟ أخذ فى البكاء كالطفل، ثم تبعته فى البكاء وأنا لا أعلم ماذا به، وبعد فترة سادها الصمت الطويل، أخذ ينظر إلىّ والدموع تتساقط من عينيه.

مسح آخر دمعة ثم قال: سبحان الله زميلى فى العمل، سافرنا سويا لإنجاز بعض الأعمال، ننام فى غرفتين متجاورتين لا يفصلنا سوى جدار واحد، تعشينا ذلك المساء وعلى المائدة،

تجاذبنا أطراف الحديث، ضحكنا كثيرًا، لم يكن بنا حاجة للنوم، تمشينا فى أسواق المدينة لمدة ساعتين أرجلنا لم تقف عن المشى، وأعيننا لم نغضها عن المحرمات، ثم عدنا وافترقنا على أمل العودة فى الصباح للعمل لإنهائه.

نمت نومًا جيدًا. صليت الفجر عند الساعة السابعة والنصف، اتصلت عليه بالهاتف لأوقظه، لم يرد كررت المحاولة لعله فى دورة المياه، شربت كوبًا من الحليب كان قد وصل فى الحال، اتصلت مرة أخرى لا مجيب.

الساعة الآن الثامنة وقد تأخرنا عن موعد العمل، طرقت الباب لا مجيب، اتصلت باستعلامات الفندق لعله خرج، ولكنهم أجابوا: أنه موجود فى غرفته، لا بد أن نفتح لنرى.

أصبح الموقف يدعو للخوف، أحضروا مفتاحًا احتياطيًا للغرفة، دلفنا الغرفة، إنه نائم يا صالح نادتيه مرة أخرى، رفعت صوتى أكثر وأنا أقترب منه. نائم، ولكنه عاض لسانه، ومتغير اللون. نادتيه، اقتربت أكثر، لا حراك، التقرير الطبى يقول: إنه مات منذ البارحة بسكتة قلبية مفاجئة.

أين الصحة، والعافية، والشباب، البارحة كنا نسير سويا لم يشتك من شيء ليس به مرض ولم يشتك من مرض أبدًا.

أعدت حساباتى، هذا موت الفجاءة لا نعرف متى سيأتى، بل بدون مقدمات، سألت نفسى لماذا لا أكون أنا صالح، ماذا سأواجه الله به أين عملى، ماذا قدمت، لا شيء مطلقًا.

عرفت أننى مقصر فى حق الله، سكت زوجى، بكى وأبكانى، وبكينا سويا، حمدت الله على هذه الهداية عشنا بعدها كما كنت أحلم أو أكثر.

فى الأسبوع التالى، شكر لى جهدى معه وحرصى على هدايته، وأخبرنى أننا سوف نذهب لأداء العمرة والمكوث فى مكة نهاية الأسبوع، لنبدأ صفحة جديدة مع الاستقامة.

أكاد أطير من الفرح، فأنا لم أذهب إلى مكة منذ أن تزوجت، ضحى ذلك اليوم ذهبت إلى الحرم، الأعداد قليلة، فترة صيف وليس هناك زحام، حقق الله ما كنت أحلم به، وقفت بابنى أمام الكعبة، لكنى لم أستطع الدعاء له لأننى بكيت وبكيت، حتى تقطع قلبى.

فى الغد، إن شاء الله اليوم سنطوف طواف الوداع وسنغادر هذه الأرض الطاهرة، بعد طواف الوداع، عدنا من الحرم لنستعد للسفر ما هذا الذى معك هذا كتاب ابن رجب جامع العلوم والحكم، هذا كتاب ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد، هذا كتاب الوابل الصيب لابن القيم، هذا كتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى، وهذا القرآن الكريم بحجم صغير، لن يفارق جيبى.

أيتها الحبيبة.. هذه معالم فى طريقنا إلى الدار الآخرة، ثم أخذ يردد وهو يحمل الحقائب. **﴿رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ**

الحسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠ - ٤١).[١]

يدعو لمن ضربة بالجنة!!!

خرج إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) إلى بعض البرارى، فاستقبله رجل جندى، فقال: أنت عبد؟ قال: نعم. فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندى: إنما أردت العمران!! فقال: هو المقبرة. فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه، ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه، فقالوا: ما الخبر؟ فأخبرهم الجندى ما قاله له، فقالوا: هذا إبراهيم بن أدم!! فنزل الجندى عن فرسه وقبل يديه ورجليه، وجعل يعتذر إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألنى: عبد من أنت، بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم؛ لأنى عبد الله، فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة. فقيل: كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أننى أوجر على ما نالنى منه، فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر"[٢].

"وقيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس فى داره، إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء، فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك؛ أنت حرة لوجه الله تعالى"[٣].

---

(١) العائدون إلى الله (ص: ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) الإحياء (٣/ ٧٦). (٣) الإحياء (٣/ ٧٧).

نعم أخي الحبيب: إن الرفق والحلم سبب كل خير، وإن الشدة والعنف والغلظة سبب كل بلاء.

قال ﷺ : "إن الله رفيق يحب الرفق ويُعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه" (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ "إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا يُنزع من شىء إلا شانه" (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ : "من كتم غيظًا وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما يشاء" (صحيح الجامع: ٦٥١٨).

قلوب تشتاق إلى الجنة

قال رجاء بن حيوة (وزير عمر بن عبد العزيز): ـ كنت مع عمر بن عبد العزيز، لما كان واليًا على المدينة، فأرسلنى لأشترى له ثوبًا. فاشتريت له ثوبًا بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه رخيص الثمن!

فلما صار خليفة للمسلمين. بعثنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريت له بخمسة دراهم! فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه غالى الثمن!

قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لى عمر: ما يبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل

سنوات، وما قلت عنه، فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال يا رجاء: إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه، تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها، والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

أخى الحبيب: أما تاقت نفسك إلى جنة الرحمن (جل وعلا) التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال ﷺ: "من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار" (صحيح الجامع: ٦٢٧٥).

أسأل الله (عز وجل) أن يرزقنى وإياكم الجنة وأن يجعل خير أيامنا يوم أن نلقاه وهو راضٍ عنا.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى (أبو عمار)